وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإعجاز القرآني في العصر الرقمي «١ ـ ٢»

بقلم جمال البنا ٢٠٠٨/٥/٧

(١)عندما قال المشركون للرسول «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّي تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الأَرْضِ يَنْبُوعاً، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَينَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَي فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيكَ حَتَّي تُنَزِّلَ عَلَينَا كِتَاباً نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً» (الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣).

لم يجبهم الرسول إلي شيء من هذا، ولكنه قدم لهم كتابًا هو القرآن الكريم، لأن الإسلام لم يأت بمعجزة حسية تخرق الطبيعة، وإنما جاء بمعجزة فكرية تدعم نظام الطبيعة، ولأن هذا يتفق مع حقيقة أن الإسلام ختام الدعوات، فكان لابد أن تكون معجزته حية، متجددة، وليست حدثاً عارضًا كما كان يجب أن ترمز للفكر الذي سيهدي الإنسان بعد أن انتهي عهد الأنبياء.

وقد توافر كل هذا للقرآن، فهو باعتباره كتابًا يظل دائمًا دعوة للفكر، وهو بحكم محتواه يمثل معجزة متجددة.

كان القرآن معجزة للعرب، لأن العرب لم يعرفوا من الفنون إلا الشعر فكانت البلاغة لديهم هي التفوق، وجاء القرآن بما يجاوز أبلغ بما لديهم من المعلقات، وهي القصائد التي استحقت أن تعلق علي الكعبة. كان القرآن فتحًا جديدًا في عالم الكتابة شعرًا أو نثرًا فجمع بين هذين بطريقة لم تسبق، ولم تلحق.

علي أن القرآن لم ينزل للعرب وحدهم، وإنما أنزل للناس كافة، وعندما يترجم القرآن إلي اللغات المختلفة فإنه يخسر تفوقه البياني، ولكن يظل له معالجاته السيكولوجية التي تمس الناس جميعًا، لأنها تقوم علي الطبيعة البشرية، كما يظل له القيم النبيـــلة التي يدعو إليها من عدل ومساواة وحرية وإيثار.. إلخ، فلم يفقد إعجازه.

وفي مشارف العصر تبدي للناس أفق جديد من آفاق الإعجاز القرآني، ذلك هو توافقه مع ما انتهي إليه العصر في الطبيعة والفلك والبيولوجيا، وحاسته الكونية التي تجعل المسلم مواطناً كونيا يري في الحيوان والنبات أمما أمثالكم، ويري ظواهر الطبيعة وهي تدخل في ديالكتيك «تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وَتُخْرِجُ الْحَي مِنْ الْمَيتِ وَتُخْرِجُ الْمَيتَ مِنْ الْحَي»، ويسبح الجميع في فلك بطريقة منتظمة لا تخطئ ولو في جزء من الثانية، وهم جميعًا يسبحون الله بطريقتهم الخاصة، وكان هذا تمهيدًا قرب ما بين النظرة العلمية للكون والنظرية القرآنية، واستلفتت الأنظار ألفاظ وإشارات تتفق تمام الاتفاق مع أحدث النظريات العلمية .

إننا وإن كنا نقول دائمًا إن القرآن كتاب هداية، إلا أن هذا لا ينفي أن طريق الهداية يتأثر بتطور العصر وعندما يتأكد فرد ما أن القرآن يتفق مع ما تنتهي إليه العلوم، فإن هذا يدل علي مصداقية القرآن، كما يلحظ أنه لما كان القرآن هو معجزة الإسلام لكل العصور، فإن مما يدخل في إطار هدايته أن تتوافق هذه الهداية مع التطور ومستجدات العصر، لأن من العسير أن نقنع أناس هذا العصر بالإعجاز البياني الذي ملك عليهم ألبابهم قديمًا، وإنما يؤثر فيهم ما يتفق مع عالم عصرهم.

وقد يقول قائل لو أن هذا صحيح فلماذا لم يلهم القرآن المسلمين ليكتشفوا ويخترعوا بدلاً من أن يقوم بذلك أناس لا علاقة لهم بالقرآن، فنقول إن المناخ الكوني للقرآن ساعد علي ظهور مجموعة كبيرة من علماء الطبيعة والجبر والهندسة والفلك والكيمياء مثل جابر بن حيان وابن الهيثم والبيروني والخوارزمي.. إلخ، الذين توصلوا إلي أسس المعرفة الحديثة، وطبقوا العلم علي العمل، وكان من الممكن أن يحدث في بغداد ما حدث في أوروبا عصر التنوير، ويكون سابقاً عليه بخمسة قرون، ولكن نجاح البحث العلمي مرهون بعوامل أخري عديدة مثل صلاح نظم الحكم وتأييد الحكام وإشاعة الثقافة بين الناس وأن تشجع النظم الصناعة والتجارة.. إلخ، وهذا ما لم يتوافر في المجتمع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإسلامي منذ أن بدأ الملك العضوض وظهر حكام وخلفاء لا يعنيهم إلا أنفسهم ويهدرون أموال الدولة علي المداهنين من الشعراء والمنافقين من الفقهاء، ووئدت بدايات البحث العلمي في الشرق، واستفاد منها الغرب عندما تهيأ المناخ، ووجد ملوك وأمراء يساعدون العلماء ويستهدفون النهضة بالصناعة، ولولا أن المجتمع الإسلامي قدم هذه «المفاتيح» لأوروبا لكان عليها أن تسعي طويلاً للتوصل إليها.

وخذ مثلاً هذا النص «روي البيهقي أن بعض الفقهاء قال يومًا لأبي الحسن الأنباري الحكيم المهندس الذي كان يقرأ كتاب المجسطي لعمر الخيام: ما تدرس؟ فقال: أفسر آية من كتاب الله؟ فقال له الفقيه: ما تلك الآية؟ قال الأنباري قول الله تعالي: «أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَي السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيفَ بَنَيْنَاهَا» (ق : ٦)، فأنا أفسر كيفية بنائها.

وفي العصور الحديثة أثبت علماء علي أعلي مستوي من الفنية، وممن يشغلون مناصب الأستاذية في جامعاتنا ويتابعون التقدم في الطبيعة والرياضة.. إلخ الإعجاز العلمي للقرآن والتوافق العجيب ما بين إشارات القرآن ومنجزات العصر، مما جعل ذلك أمرًا مقررًا.

ما نريد أن نصل إليه هو أن القرآن باعتباره معجزة الإسلام علي مر العصور أثبت إعجازه حتي في العصر الرقمي الذي ما كان أحد يخطر له أنه ثمة صلة ما بين القرآن وما بين الكمبيوتر والإنترنت.

الحقيقة أن هذه الصلة موجودة وهي العناية بالأعداد، فعالم الكمبيوتر يقوم علي الأعداد، ويذكر القرآن أعدادًا وأرقامًا حار في تفسيرها القدامي حتي جاء العصر الرقمي ليحل مغاليقها.

لقد لفت الرقم ١٩ عددًا من البحاث لعل أقدمهم «البهائية»، ولكن هذا الاهتمام لا يعود لأمر يتعلق بالقرآن، ولكن لأن الباب (ميرزا علي محمد) جمع حوله ثمانية عشر شخصًا سماهم «حروف» حي، لأن حرف الحاء يعادل رقم ٨، وحرف الياء يساوي ١٠ أضيف إليهم الملا حسين البشروني الذي كان أول من آمن به فأصبح الرقم ١٩، ولكن هذه الرواية لا تفسر الاهتمام الكبير للبهائية بالرقم ١٩، فقد أقاموا عليه شكليات عبادتهم، فالسنة لديهم ١٩ شهرًا وكل شهر ١٩ يومًا، والصوم عندهم هو الشهر التاسع عشر (شهر العلاء)، وعدد ركعات الصلاة اليومية تسعة، فعدد ركعاتها في السنة ٣٦١ * ٩ = ٣٢٤٩، وهذا العدد هو حاصل ضرب ١٧١ * ١٩، ومهر الزوجة لا يقل عن ١٩ مثقالا من الذهب ولا يزيد علي ٩٥ مثقالا (العدد ٩٥ من مضاعفات رقم ١٩).

لا جدال أن دخول البهائية هذا المجال ألقي شبهة كثيفة علي كل من يقربه، ولكن المعالجة السيئة لا تعني بطلان الواقعة أو تنفي أن هناك سرًا، فإن السوء هو في معالجتها، وهذه المعالجة لم تكن معلنة أو معروفة إلا لمن يتقصي قضية البهائية والدليل علي ذلك أن كاتبًا إسلاميا اكتسب شهرة كبيرة من السبعينيات هو الأستاذ عبدالرازق نوفل أصدر مجموعة كبيرة من الكتب الإسلامية التي تدخل في باب الثقافة الشعبية، وكان منها ثلاثة أجزاء عن الإعجاز العددي في القرآن، وخصص جزءًا منها للرقم ١٩.

وقفزت القضية إلي صدارة الاهتمامات في الفترة المعاصرة عندما عكف عليها مهندس مصري هو «رشاد خليفة» المقيم في أمريكا، وكان فنيا في الإلكترونات، وبعد فترة من الدراسة خرج علي الملأ بنظرية تقول إن الآيات القرآنية لها معمار رقمي دقيق وصارم، وكلمة السر، أو مفتاح هذا المعمار هو رقم ١٩، واكتسب أنصارًا عديدين (ومن ذا الذي لا يكسب أنصارًا في أمريكا كائناً من كان)، وأقام مركزًا إسلاميا في «توسان» من أعمال ولاية أريزونا، لم يكن كمألوف المراكز الإسلامية إذ كانت الفتيات لابسات الميني جيب تروح فيه وتجيء بلا حرج، وأدي هذا إلي نفور المسلمين في أمريكا منه، علي أن ما قضي عليه فكريا وعمليا، هو أنه ادعي أنه «رسول» الميثاق، وقال إن هذا لا يتنافي مع القرآن، لأن سيدنا محمد كان «رسولاً وخاتم النبيين»، فلم يكن خاتم الرسل، ولم يدع هو أنه نبي، وإن زعم أن جبريل يوحي إليه، وأن معجزته هي هذا الكشف الرقمي وأثبت أنه رسول عن طريق حسابات أرقام اسمه «رشاد خليفة»، وبالطبع فإن هذا قضي علي الإيمان به وأدي للشك في قيمة هذه الحسابات.

كما أن هذه الحسابات لم تتسع للآيتين الأخيرتين من سورة التوبة «لقد جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» (١٢٨و١٢٩) فاستبعدهما من القرآن، وكان هذا سببًا في عدم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الاعتداد بكل عمله، ثم جاء القضاء المادي عليه باغتياله.

لقد استعرضنا محاولات الاقتراب من الرقم، وأنه كما قال القرآن «وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيسْتَيقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُـــــوا إِيمَاناً» (المدثر: ٣١)، وقد رأينا الذين كانت لهم فتنة، وفي العدد القادم سنري كيف يزداد الذين آمنوا إيماناً.

This file was downloaded from QuranicThought.com